Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (6) June (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الوحدة الموضوعية وأثر السياق في سور الحواميم

مدرس دكتور عدنان شنشول جبر الخالدي
جامعة الإمام الصادق (ع) فرع المثنى
Adnan ShanshooL Jabur
adnan-1959sh@gmail.com

ملخص بحث :

يهدف البحث إلى إظهار دور السياق القرآني في سور الحواميم فضلاً عن أثر الوحدة الموضوعية في ترابط الآيات والسور ويركز البحث على ثلاثة محاور أساسية وهي :**المحور الأول:** يتناول التعريف بسور الحواميم وهي سبع سور متتابعة في المصحف تبدأ بـ (حم): غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف .**المحور الثاني** : يتحدث عن أثر السياق القرآني في تحديد دلالة الألفاظ والمعاني ويربط بين الآيات والمقاطع داخل السورة الواحدة وبين السور المتتابعة .**المحور الثالث:** يركز على الوحدة الموضوعية في سور الحواميم وهي: تقرير التوحيد، إثبات الوحي، الدفاع عن الرسالة، مجادلة الكافرين وبيان مصير المؤمنين والمكذبين وإبراز عظمة القرآن ومصدره الإلهي.

الكلمات المفتاحية : السياق القرآني، سور الحواميم، الوحدة الموضوعية

Research summary:
The research aims to show the role of the Qur'anic context in Surah Al-Hawamim, as well as the effect of thematic unity on the interconnection of verses and surahs, and the research focuses on three basic axes:The first axis: deals with the definition of Surah Al-Hawamim, which are seven consecutive surahs in the Qur'an that begin with (Ham): Ghafir, Fussilat, Al-Shura, Al-Zukhruf, Al-Dukhan, Al-Jathiya, and Al-Ahqaf.The second axis: It talks about the effect of the Qur'anic context in determining the meaning of words and meanings and links the verses and passages within a single surah with successive surahs.The third axis focuses on the thematic unity in Surah Al-Hawamim, which is: establishing monotheism, proving revelation, defending the message, arguing with the unbelievers, explaining the fate of believers and deniers, and highlighting the greatness of the Qur'an and its divine source.**Keywords:** Qur'anic context, Surah Al-Hawamim, thematic unity

مقدمة:

تعد الوحدة الموضوعية من أبرز القضايا التي شغلت الدارسين للقرآن الكريم قديماً وحديثاً، لما لها من تأثير بالغ في إظهار إعجازه البياني وتماسك بنائه ودحض الشبهات التي زعمت التفكك أو التكرار غير الهادف في آياته وسوره، وقد أسهم علم المناسبة والسياق القرآني في الكشف عن الروابط الدقيقة بين الآيات والسور، وإظهار انسجام المعاني وترابط المقاصد بما يعكس وحدة الرسالة القرآنية واتساقها في العرض والتوجيه.وتأتي سور الحواميم وهي السور السبع التي افتتحت بالحروف المقطعة (حم) نموذجاً بارزاً لهذه الوحدة الموضوعية، إذ تشترك في سمات عامة وموضوعات كلية، مع تنوع في الأسلوب والتفصيل يخدم المقاصد الخاصة بكل سورة، فقد نزلت هذه السور في مراحل متقاربة من العهد المكي، في سياق مواجهة الشرك وتثبيت العقيدة، والدفاع عن الوحي، والرد على شبهات المكذبين مع التركيز على قضايا التوحيد والنبوة والبعث وسنن الله في الأمم.ويبرز أثر السياق بنوعيه الداخلي والخارجي– بوضوح في سور الحواميم، فالسياق الداخلي يُظهر ترابط الآيات داخل السورة الواحدة، وانتقالها المنظم بين عرض العقائد وضرب الأمثال وذكر قصص الأمم السابقة والتحذير والوعيد ثم الوعد والبشارة. أما السياق الخارجي فيتمثل في العلاقة بين السور بعضها ببعض، حيث تتجاور سور الحواميم في المصحف، وتتساند موضوعاتها، حتى تبدو كأنها وحدة متكاملة، لكل سورة دورها في بناء المعنى العام وتأكيده.ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى دراسة الوحدة الموضوعية في سور الحواميم، وبيان دور السياق في إبراز هذه الوحدة؛ من خلال تحليل موضوعات السور، وتتبع مقاصدها الكبرى، والكشف عن الروابط السياقية التي تجمع بين آياتها وسورها.ويهدف

البحث إلى الإسهام في تعميق الفهم التدبري للقرآن الكريم، وإبراز جانب من جوانب إعجازه البياني والتشريعي، بما يعزز الثقة بترابط نصه، ووحدة بنائه، ويفتح آفاقاً جديدة للدارسين في مجال الدراسات القرآنية.وقد اعتمدتُ في دراستي على منهج التفسير الموضوعي وذلك عن طريق جمع الآيات القرآنية في السور السبعة المتتالية ومن ثم تصنيف تلك الآيات كلٌ حسب مقصده، ومنها آيات تخص العقيدة كالتوحيد وآيات تخص المعاد ومناسبة تلك الآيات لبعضها البعض.وقسمتُ بحثي إلى ثلاثة مباحث وكل مبحث مطلبين حيث جاء في المبحث الأول: التعريف بسور الحواميم وتضمن المبحث مطلبين وكان المطلب الأول قد تناول مفهوم سور الحواميم والمطلب الثاني مقاصد سور الحواميم، أما المبحث الثاني فكان بعنوان: أثر السياق القرآني في سور الحواميم وتحدث عن تحديد الدلالة القرآنية للألفاظ والمعاني وكذلك عن الربط بين الآيات والمقاطع داخل السورة القرآنية الواحدة وبين السور المتتابعة. أما المبحث الثالث بعنوان: الوحدة الموضوعية في سور الحواميم وتناول مواضيع عقائدية تخص التوحيد وإثبات الوحي والدفاع عن الرسالة ومجادلة الكافرين وبيان مصير المؤمنين والمكذبين وختمت البحث بخاتمة ونتائج بالإضافة إلى قائمة بالمصادر والمراجع الأولية.

المبحث الأول: التعريف بسور الحواميم في القرآن الكريم

المطلب الأول: أولاً: سور الحواميم هي مجموعة من السور في القرآن الكريم تبدأ بالحروف المقطعة (حم) وقد اشتهرت بهذا الاسم عند العلماء والمفسرين.

ثانياً: عدد وأسماؤها

عددها سبع سور متتالية ومتتابعة في المصحف وهي:

١- سورة غافر ٢- سورة فصلت ٣- سورة الشورى ٤- سورة الزخرف ٥- سورة الدخان ٦- سورة الجاثية ٧- سورة الأحقاف.

ثالثاً: سبب تسميتها:

سميت بالحواميم لإجماعها على الإفتتاح بحرفي (حم) وحواميم جمع "حاميم" على طريقة جمع الحروف المقطعة. وقد كان بعض السلف يعظم شأنها حيث قال ابن مسعود: الحواميم ديباج القرآن أي زينته وجماله(١).

رابعاً: نزولها:

كل سور الحواميم مكية عند الفرق الاسلامية ونزلت في مرحلة الإستضعاف والصراع العقدي مع مشركي قريش وتهدف إلى ترسيخ العقيدة وبناء الإيمان في النفوس.

خامساً: أسباب نزولها (بصورة عامة)

لا يوجد سبب نزول واحد يجمعها، ولكن نزلت لمعالجة قضايا مشتركة، منها إنكار قريش للوحي والرسالة والطعن في القرآن وإتهام النبي (ص) وكذلك الجدال العقلي حول التوحيد والبعث وتكشف صبر النبي (ص) وتثبيته أمام الأذى(٢).

المطلب الثاني: الخصائص العامة لسور الحواميم.

أولاً: تشترك هذه السور في سمات واضحة منها:

١- التركيز القوي على العقيدة.

٢- توحيد الله.

٣- إثبات الوحي.

٤- الإيمان بالبعث والجزاء.

ثانياً: الدفاع عن القرآن، بيان إعجازه، الرد على شبهات المكذبين، وصف أثره بالقلوب.

ثالثاً: الجدال بالحجة والعقل، أسلوب منطقي قوي، محاججة المشركين بالأدلة الكونية والتاريخية(٣).

رابعاً: قصص الأمم السابقة وهي للعظمة والتحذير (عاد، ثمود، فرعون...).

خامساً: قوة الأسلوب والجرس القرآني وفيه آيات قصيرة مؤثرة وكذلك ينتج عنها نبرة حاسمة مليئة بالوعيد والرجاء(٤).

سادساً: التناسق الموضوعي أي كأنها وحدة متكاملة في البناء والمعنى.

وخلاصة القول: أن سور الحواميم هي سور مكية متتابعة، تتمحور حول العقيدة والقرآن والدعوة، نزلت في مواجهة الشرك والتكذيب وتمتاز بالقوة والبيان والعمق الإيماني(٥).

آراء العلماء في تفسير سور الحواميم عند الفريقين:

اعتمد مفسرو السنة في تفسير الحواميم على المأثور عن النبي (ص) وعن الصحابة (خاصة ابن مسعود وابن عباس) مع التركيز على الجوانب اللغوية والعقدية. ومثال ذلك ما جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير حيث يورد فضائل الحواميم ويصفها بأنها ديباج القرآن (زينته) ويعتمد في تفسير آياتها على الأحاديث النبوية وآثار السلف.وعند تفسيره لسورة غافر وهي من سور الحواميم يقول ابن كثير: "وهي مكية وقد كره بعض السلف ومنهم محمد بن سيرين أن يقال (الحواميم) وإنما يقال: (آل حم) وقال عبدالله بن مسعود: (آل حم ديباج القرآن) وقال ابن عباس: (إن لكل شيء لباباً ولباب القرآن آل حم)– أو قال: (الحواميم) وقال مشعر بن كدام: كان يقال لهن (العرائس)".[٦]وفي تفسير الطبري لقوله تعالى: (غافر الذنب وقابل التوب) يفسر على ظاهره: بيان سعة الله، وأنه سبحانه وتعالى يجمع بين المغفرة والعدل، وكذلك التركيز على التوحيد، والإنذار والجدال في آيات الله، وذكر قصة مؤمن آل فرعون للعظمة[٧]أما عند الشيعة الإمامية فقد فسروا ذلك علماء ومفسري الشيعة الإمامية ومنهم تفسير القمي، الميزان للطباطبائي حيث يتناولون نفس المعنى العام في صفات الله مع التأكيد على البعد التربوي والعقائدي وأيضاً بعض المفسرين يربطون قصة مؤمن آل فرعون بنموذج الولاية الإلهية والدفاع عن الحق في كل زمان[٨]وعند أهل السنة في تفسير ابن كثير والقرطبي للآيات الحواميم ومنها جاء في قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء} يُفسر الاستواء بما يليق بالله من غير تشبيه ولا تمثيل وهذا يعني أن لآيات الحواميم تركيز على إعجاز القرآن الكريم، وبيان حال المكذبين[٩]واختلف الشيعة الإمامية في تفسير قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء} حيث جاء في تفسير الميزان: أن الاستواء يُفسر بأنه تدبير وهيمنة لا جهة ولا مكان حيث اتسم تفسير الطباطبائي باهتمام أكبر بالتحليل اللغوي والفلسفي، وربط الآيات بنظام الخلق والسنن الإلهية[١٠].وكذلك في سورة الشورى وهي إحدى سور الحواميم حيث فسرها علماء التفسير عند أهل السنة ومنهم الطبري حيث جاء في قوله تعالى: {وأمرهم شورى بينهم} يقول: دليل على مبدأ الشورى في إدارة شؤون المسلمين، دون تحديد شكل سياسي معين[١١].

وقد اختلف في ذلك الشيعة الإمامية في تفسيراتهم ومنها تفسير مجمع البيان للطبرسي حيث جاء في تفسيره لقوله تعالى: {وأمرهم شورى بينهم}: أن الشورى مبدأ عام في الأمور الاجتماعية. ولكن الإمامة والقيادة الدينية منصوص عليها إلهياً ولا تدخل في الشورى[١٢].

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في سور الحواميم

وفيه مطلبان: المطلب الأول: تعريف السياق القرآني لغةً واصطلاحاً.

أولاً: السياق القرآني لغةً: السياق في اللغة مأخوذ من الفعل ساق، ويقصد به: التتابع والاتصال في نظام واحد، فيقال: سياق الكلام أو تتابعه وانتظامه بعضه مع بعض، بحيث يُفهم المعنى من خلال ما يسبق الكلام وما يلحقه.وجاء في معاجم اللغة العربية ومنها معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس يرجع المادة (س و ق) إلى أصل واحد وهو: الحدو والجر من خلف. ويقول: السوق: جر الشيء وقيادته، ومنه سَوْقُ الإبل. ومن هذا المعنى أُخذ سياق الكلام لأنه: يساق بعضه إلى بعض في نظام وترتيب متتابع، فالسياق عند ابن فارس يدل على التتابع والاتصال والانتظام[١٣].

أما عند الخليل بن أحمد (كتاب العين) جاء في العين: السوق: الحَدْوُ، وسقتُ الشيء أسوقُه سَوْقاً. ويُفهم من كلامه أن السياق: هو قيادة الشيء بعضه مع البعض[١٤].أما في الاصطلاح فإن السياق القرآني هو: الآيات أو الألفاظ المتقدمة والمتأخرة التي تحيط بآية أو كلمة قرآنية، ويستعان بها على فهم المعنى الصحيح وتحديد المقصود المراد منها[١٥].وبعبارة أخرى هو: النظر إلى الآية ضمن ما قبلها وما بعدها، ومعرفة علاقتها بالموضوع العام للسورة، لفهم المعنى فهماً دقيقاً بعيداً عن الاجتزاء أو الخطأ. وتكمن أهمية السياق في توضيح المعنى الصحيح للآية وكذلك يمنع سوء الفهم أو التأويل الخاطئ حيث يرجح بين المعاني المحتملة ويُظهر وحدة الموضوع في السورة.حيث أن السياق من أقوى المرجحات في التفسير وقد يُقيّد المطلق ويُخصص العام ويُعين المجمل. ولو أردنا أن نعرف دور السياق علينا بالسؤال التالي: لماذا سور الحواميم نموذج مثالي لدراسة السياق؟ الجواب: أن سور الحواميم من غافر إلى الأحقاف تمتاز بوحدة موضوعية واضحة (الدفاع عن الوحي – الصراع مع المكذبين)

١– تشابه في الإفتتاح والخطاب[١٦].

٢– كثرة الجدل القرآني مع المشركين.

٣– التركيز على قضية العقيدة، الوحي، الرسالة.

ولهذا قال بعض العلماء: الحواميم روضات متجاورات (أثر عن ابن مسعود). وللسياق أنواع لابد من ذكرها:

١– سياق الآية

٢– سياق المقطع في السورة

٣– سياق السورة في مجموعة السور (كالحواميم) [١٧].

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية عن أثر السياق في سور الحواميم

أولاً: تطبيقات عامة

أ- التطبيق الأول بسورة غافر: جاء في قوله تعالى: (غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ) [١٨].

هنا نذكر سؤالاً تفسيرياً: هل المقصود مجرد الإخبار عن صفات الله؟

الجواب بالسياق: الآيات قبلها الحديث عن تكذيب الكفار والآيات بعدها: التحذير من المجادلة في آيات القرآن. والسياق يدل على أن الآية ترغيب للمؤمنين وتهديد للمكذبين، فلو عُزلت الآية عن سياقها لفهمت فهماً ناقصاً.

ب- التطبيق الثاني: سورة فصلت: جاء في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) [١٩]، بالنظر للسياق نجد:

١- السورة ترد على إتهام القرآن.

٢- تبيّن حال المكذبين ثم تنتقل إلى حال المؤمنين. حيث الاستقامة هي ليست مطلقة بل: الاستقامة على التوحيد والوحي في مواجهة الشرك والتكذيب. فالسياق خصص معنى الاستقامة.

ج- التطبيق الثالث: سورة الشورى: جاء في قوله تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) [٢٠]. هل المقصود كل خلاف؟

بالسياق الحديث عن الوحي وكذلك ذكر الرسل والشرائع- والمعنى: الخلاف العقدي الديني لا كل خلاف دنيوي. والسياق منع التوسل الخاطئ في الاستدلال.

د- التطبيق الرابع: سورة الزخرف: (وإنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم) [٢١].

السياق: رد على من قال: القرآن "أساطير" وكذلك جدال مع المعارضين للوحي. والمعنى نفي كل وصف بشري أو أسطوري عن القرآن الكريم والسياق يكشف البعد الجدلي في الآية.

التطبيق الخامس: سورة الأحقاف؛ جاء في قوله تعالى:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ) الأحقاف[٢٢].

السياق: مخاطبة مشركي مكة وإقامة الحجة العقلية عليهم، الآية ليست مجرد سؤال بل إلزام حِجاجي للمكذبين. وفهم الأسلوب البلاغي مرتبط بالسياق. ومن خلال التطبيقات آنفة الذكر يتضح لدينا أثر السياق في كشف معاني القرآن يلخص في الآتي:

١- يُحدد المقصود من الألفاظ المشتركة.

٢- يُميز بين العام والخاص.

٣- يكشف البعد البلاغي والحجاجي.

٤- يمنع إسقاط الآيات في غير موضعها.

٥- يُظهر وحدة السورة ومقصدها.

ثانياً: تطبيقات في تفسير سور الحواميم عند الفريقين:

لقد تناول الفريقان من السنة والشيعة الإمامية تفسير سور الحواميم وإبراز الدور المحوري للسياق في تفسيراتهم وإظهار الدلالة القرآنية في كشف وجوه الإعجاز القرآني لاسيما أنَّ تلك السور تتحدث عن العقيدة والوحي والرسالة وإنكار المشركين والمكذبين.

تفسير سور الحواميم عند الشيعة الإمامية

أولاً: عند الطبرسي: يتميز تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي لمنظومة الحواميم من (غافر إلى الأحقاف) بالمنهجية العلمية الدقيقة حيث يبدأ بذكر السورة، ثم يفصل بالقراءات، اللغة، أسباب النزول، والمباحث الفقهية والعقائدية بأسلوب تحليلي شامل وتعتبر هذه السور "لباب القرآن" وتتميز بكونها مكية تبدأ بـ (حم) وتركز على توحيد الله والرسالة، كما أنها ريحان القرآن[٢٣]نموذج من تفسير الطبرسي (مجمع البيان) سورة غافر، فصلت فضل السور (الحواميم) ينقل الطبرسي عن ابن مسعود قوله: إذ وقعتُ في الحواميم فكأنما أقع في روضات دمثات أتأنقُ فيهن: (أي روضات سهلة لينة أعجبُ بها وأتلذذ بقراءتها) ويسميها ريحان القرآن[٢٤]افتتاحية (حم): يشير الطبرسي إلى أن الحروف المقطعة في أوائل السور هي من أسرار الله. وذكر أن الحواميم السبع (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف) هي سور مكية تركز على الوحدة وتنقل الرسالة إلى أمة محمد (ص). منهج التفسير (مثال الآية الأولى من غافر) (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم).القراءة: يبين

الخلاف في قراءة (حم) (هل هي مفصلة أم موصولة)المعنى: يوضح أن (حم) هي قسم أقسم الله به، أو أنها اسم من أسماء الله أو افتتاحية لتعظيم القرآن.

التفسير العقائدي: يركز الطبرسي (باعتباره مفسراً شيعياً) على إثبات توحيد الله وعزة الله (الغالب الذي لا يُغلب) وعلمه بكل شيء ونفي التشبيه.

اللطائف: يذكر في مواضع أخرى أن هذه السور تركز على أهمية الصفح والإمهال وقصص الأنبياء وخاصة (موسى عليه السلام) [٢٥]أما الطباطبائي في تفسيره الميزان فقد تناول تفسير سور الحواميم ومنها جاء في قوله تعالى: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) "الشورى: ٢٣" يرى أن القربى محصورة في أهل البيت (عليهم السلام) وأن المودة لهم هي أجر الرسالة لأن اتباعهم يضمن بقاء الهداية. ويستدلون بروايات عن الأئمة تؤكد أن هذه الآية نزلت فيهم[٢٦]وفي تفسير البرهان/ الصافي: يميل التفسير الإشاري لربط كلمة علي (عليه السلام) بالإمام (علي بن أبي طالب) حيث جاء في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) ويذكرون أن الروايات تشير إلى أن اسم الإمام مذكور في أم الكتاب (اللوح المحفوظ) رغم أن المعنى الظاهري يشير إلى علو شأن القرآن وإحكامه[٢٧].أما عند أهل السنة فإن المفسر السني يرى في الحواميم ترسانة عقدية ضد الشرك ودروساً في البلاغة والصبر ووحدة الرسالة كما جاء في تفسير العظيم لابن كثير في قوله تعالى: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا) حيث يؤكد ابن كثير أن أصل الدين واحد عند جميع الأنبياء أولي العزم وهو توحيد الله وعبادته وإن اختلفت الشرائع والأحكام. معنى إقامة الدين يفسرونها بأنها العمل بالشرع والالتزام بالطاعات وترك المعاصي[٢٨].

خلاصة الفرق بين تفسير الشيعة الإمامية وأهل السنة

هو أن منهج الشيعة يركز على الولاية، الإمامة، التأويل الباطني للرموز القرآنية. والنقطة الأخرى استخدام المنهج التأويلي حيث يتفقون على المعنى العام في وحدة الدين، لكنهم يضيفون بعداً محورياً وهو الولاية لذلك يفسرون إقامة الدين بالولاية: يورد المفسرون الشيعة (بناءً على روايات عن الإمام الباقر أو الصادق) عليهما السلام إن إقامة الدين لا تتم إلا بوجود (إمام) يحفظ هذا الدين من التحريف[٢٩]وتفسير "لا تتفرقوا" يرى البعض أن التفرق المنهي عنه هو ترك ولاية علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام، معتبرين أن الاعتصام بحبل الله تعالى المذكور في آيات أخرى هو ذاته المقصود هنا بالتمسك بالعترة الطاهرة لمنع التفرق. أما عند أهل السنة يرى المفسر السني في سور الحواميم ترسانة عقدية ضد الشرك ودروساً في البلاغة والصبر ويرى المفسر السني أن النهي عن التفرق: المقصود هو النهي عن الابتداع في الدين، وضرورة الجماعة، والتحذير من التحزب الذي حدث للأمم السابقة (اليهود والنصارى) [٣٠]أما في علوم القرآن؛ فيستخدم هذا المصطلح كثيراً عند الحديث عن السورة القرآنية لذا فإن الوحدة الموضوعية للسورة: هي وجود محور عام أو غرض رئيس تدور حوله آيات السورة رغم تنوّع القضايا الجزئية[٣١]. حيث أن لكل سورة شخصية مستقلة ووحدة موضوعية تجمع آياتها[٣٢] ويمكن أن نلخص الوحدة الموضوعية لغةً: بأنها الاجتماع والتماسك حول موضوع واحد، والوحدة الموضوعية اصطلاحاً هي: ترابط الأفكار والمعاني في نصٍ ما حول فكرة مركزية واحدة دون تفكك أو خروج.ومن الأمثلة العامة في القرآن الكريم التي تُجسد معنى الوحدة الموضوعية جاء في قوله تعالى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [٣٣].التحليل: الوحدة الموضوعية للسورة هي: بيان حال الإنسان بين الخسارة والنجاة. جمع الآيات: تمهد للخسارة ثم تستثني أصل النجاة وشروطها، نرى أن السورة القصيرة تتمحور حول موضوع مركزي واحد، إذن تتحقق الوحدة الموضوعية عندما يدور النص حول فكرة مركزية واحدة تخدم كل الجمل وآيات هذه الفكرة. أما سور الحواميم فتتمتع بوحدة موضوعية قوية تدور حول موضوع عام هو ترسيخ عقيدة التوحيد، وبيان وظيفة الاستخلاف والمسؤولية الملقاة على عاتق أمة محمد (ص) مع التحذير من الكبر والفرقة.

المبحث الثالث: الوحدة الموضوعية في سور الحواميم

المطلب الأول: تعريف الوحدة الموضوعية لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الوحدة الموضوعية لغةً: هي مركب لفظي من الوحدة والموضوعية. الوحدة لغةً: جاء في معجم مقاييس العرب لابن فارس بأن الجذر (و ح د) المعنى: الانفراد وعدم التعدد والاجتماع على شيء واحد[٣٤]وفي القاموس المحيط: الوحدة: الانفراد والتفرد والاجتماع الشيء على أمر واحد[٣٥]أما الموضوع لغةً: جاء في لسان العرب لابن منظور الجذر (و ض ع) المعنى: ما يوضح للحديث عنه، أو ما يُجعل محل بحث وكلام[٣٦]وفي معجم الوسيط: الموضوع: هو الأمر الذي يحث فيه أو يتكلم عنه[٣٧].نأتي إلى المعنى اللغوي المركب للوحدة الموضوعية، بناءً على المعنيين السابقين فإن الوحدة لغة تعني: اجتماع الكلام أو الأجزاء المختلفة على موضوع واحد دون تفرق أو تشعب.

ثانياً: تعريف الوحدة الموضوعية اصطلاحاً: في الدراسات الأدبية هو مصطلح يستخدم في النقد الأدبي وتحليل النصوص والبلاغة. والتعريف الاصطلاحي العام هو: ترابط أجزاء النص أو الكلام ترابطاً يجعلها تدور حول فكرة أو قضية رئيسية واحدة بحيث يخدم كل جزء في هذا الموضوع ويكمله.

الوحدة الموضوعية مع الإيقاع الصوتي: تسهم الفاصلة القرآنية والوحدة الموضوعية في تحقيق تماسك صوتي ونظمي فريد يميز هذه المجموعة السبعة (الحواميم).

تناسق الموضوعات: إن تتابع السور يعكس انتقالاً مدروساً من (غافر إلى الأحقاف) حيث تبدأ كل سورة بـ (حم) لتشكل مدخلاً لعالم من الآيات المعززة بالإيمان.

رسالة متكاملة: حيث توفر وحدة الموضوع رؤية شاملة تمهد لمرحلة مواجهة الشرك وتبرز الوحدة الموضوعية جوانب الإعجاز في التناسق بين فواتح وخواتيم السور ومتنها. يُبرز هذا الاتساق الموضوعي الحواميم كسلسلة متصلة لا مجرد سور منفصلة ترسم معالم العقيدة بوضوح[٣٨].

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية في سور الحواميم

أولاً: المحور العام لسور الحواميم

ويمكن إجمال المحور العام لسور الحواميم في الدفاع عن الوحي الإلهي وإثبات التوحيد وبيان موقف المكذبين مع تسلية النبي (ص) والمؤمنين. وتظهر الوحدة الموضوعية من خلال:

١) افتتاح السور بالحديث عن الكتاب والتنزيل.
٢) تكرار مشاهد الجدل مع الكفار.
٣) عرض مصير الأمم السابقة.
٤) التأكيد على عاقبة المتقين[٣٩].

وقد أكد العلماء من الفريقين حول مشروعية الوحدة الموضوعية حيث قال البقاعي: إن لكل سورة مقصداً عاماً تدور حوله آياتها. وبين الطباطبائي أن السياق القرآني هو المفتاح لفهم المعنى الصحيح للآيات.

ثانياً: تطبيقات تفسيرية للوحدة الموضوعية في سور الحواميم

أولاً: في سورة غافر: جاء في قوله تعالى: (غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ).

محور السورة: يتحدث عن الصراع بين الإيمان والكفر ونصرة الله للرسل[٤٠].

كذلك عند الطبري يقول: الآية تجمع بين الترغيب والترهيب لإقامة الحجة على العباد. أما عند الشيعة الإمامية وبالتحديد عند السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان يقول: الآية تبين توازن الصفات الإلهية في الدعوة إلى الإيمان. وتخدم الآية وحدة السورة في بيان عدل الله ونصرته للمؤمنين[٤١].

ثانياً: سورة فصلت: جاء في قوله تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ).

محور السورة: يتحدث عن القرآن حجة واضحة على المكذبين ويقول ابن كثير: أي بينت معانيه وأحكامه بياناً شافياً[٤٢]. ثم قال الطبرسي: أي فصلت بالحجج والبراهين التي تقطع العذر[٤٣].

ثالثاً: سورة الشورى: جاء في قوله تعالى: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا).

يقول الرازي: الدين في أصوله واحد وإن اختلفت الشرائع[٤٤].

أما في الميزان: الآية تؤكد على وحدة الهدف الإلهي في هداية البشر.

رابعاً: سورة الزخرف: جاء في قوله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) [٤٥].

يقول ابن عاشور: إنكار على المشركين اعتراضهم على النبوة. أما في تفسير الصافي (الفيض الكاشاني) يقول: الآية تبطل مقاييس الجاهلية في التفصيل[٤٦].

خامساً: سورة الجاثية: جاء في قوله تعالى: (وترى كل أمة جاثية)

محور السورة: العدل الإلهي والحساب وجاء في تفسير الطبري: أي باركة على الركب بانتظار الحساب[٤٧]. وقال الطباطبائي في الميزان: مشهد تصويري لعظمة يوم القيامة[٤٨].ويتضح من ذلك أن القرآن الكريم كتاباً محكم البناء متناسق الموضوعات، تتجلى فيه وحدة فنية وموضوعية بديعة. ومن أبرز مظاهر ذلك ما يُعرف بـ الوحدة الموضوعية للسور، وتظهر هذه الوحدة بوضوح في سور الحواميم وهي سبع سور متتالية في المصحف

نزلت في المرحلة المكية وجاءت لمعالجة قضايا العقيدة والرسالة والصراع مع المشركين، وقد تمثلت الوحدة الموضوعية في سور الحواميم بانتظام آيات السورة حول محور رئيس تخدمه جميع الموضوعات الجزئية بما يحقق ترابطاً معنوياً وسياقياً. وقد أشار العلماء إلى هذا المعنى بألفاظ متعددة مثل:

١) مقاصد السور.

٢) نظم القرآن.

٣) تناسب الآيات.

ومن خلال هذه التطبيقات التفسيرية لسور الحواميم برزت الوحدة الموضوعية لآيات تلك السور من خلال ما تناوله علماء التفسير من الفريقين.

هل تود مني تحويل هذا النص إلى ملف Word جاهز للتحميل، أو تنسيقه بشكل معين (عناوين، خطوط)؟

الخاتمة والنتائج

وفي ختام هذا البحث الذي تناول الوحدة الموضوعية والسياق في سور الحواميم، يتضح لنا بجلاء أن هذه السور الكريمة تمثل نموذجاً قرآنياً فريداً في إحكام البناء الموضوعي وترابط المقاصد، بما يعكس جانباً من جوانب الإعجاز البياني والتشريعي في القرآن الكريم؛ فعلى الرغم من تعدد الموضوعات التي تطرقت لها سور الحواميم، من قضايا العقيدة، والوحي، والرسالة، والجدال مع المشركين، إلا أن هذه الموضوعات جاءت منسجمة في إطار وحدة كلية جامعة، تخدم مقصداً رئيسياً يتمحور حول تقرير التوحيد، وإثبات صدق الرسالة، وبيان عظمة القرآن ومنهجه في هداية البشر. وقد أظهر تحليل السياق العام والخاص لهذه السور أن السياق يلعب دوراً محورياً في توجيه المعاني وتكاملها، إذ تتآزر الآيات فيما بينها لتشكل نسيجاً دلالياً منسجماً لا يمكن فصل جزء منه عن الآخر دون الإخلال بالمعنى الكلي، كما أن افتتاح سور الحواميم بحروف (التهجي) (حم) يعزز الشعور بالوحدة بينها ويمهد لموضوع مشترك يتكرر بصورة متعددة يتمثل بإبراز إعجاز قرآني وتحدي العرب به، مع تنويع الأساليب والطرائق الخطابية بما يتلاءم مع مقتضيات السياق والمخاطبين. ويسهم إدراك الوحدة الموضوعية في سور الحواميم في تعميق فهم النص القرآني ويكشف عن دقة ترتيب الآيات والسور، بما ينفي العشوائية ويؤكد القصدية في البناء القرآني، كما يُبرز أثر السياق في ترجيح المعاني التفسيرية وفهم المقاصد الكبرى للسور، الأمر الذي يجعل دراسة السياق أداة منهجية أساسية في التفسير الموضوعي والبياني للقرآن الكريم، وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن سور الحواميم تشكل وحدة متكاملة في مقاصدها وموضوعاتها، وأن السياق القرآني فيها ليس مجرد إطار لغوي بل عنصر فعال في توجيه الدلالة وترسيخ المعنى، ومن هنا تبرز أهمية العناية بالدراسات السياقية والموضوعية في القرآن الكريم، لما لها من أثر بالغ في إبراز وجوه الإعجاز وتعزيز التدبر، وربط المتلقي بالهداية القرآنية ربطاً واعياً وشاملاً.

المصادر والمراجع الأولية

أولاً القرآن الكريم

١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)

٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)

٣) الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)

٤) القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٠٧هـ)

٥) الطباطبائي، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)

٦) الفيض الكاشاني، (محمد بن مرتضى) (ت ١٠٩١هـ)

٧) البقاعي، برهان الدين إبراهيم (ت ٨٨٥هـ)

٨) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)

٩) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ)

١٠) محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)

١١) سعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ)

١٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)

١٣) ابن فارس، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)

١٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)
١٥) ابن منظور (ت ٧١١هـ)
١٦) أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)

هوامش البحث

[١] تفسير القرآن العظيم، (ابن كثير) دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ، ص ٢٠٥، ج٣.
[٢] مجمع البيان، (الطبرسي ت ٥٤٨ هـ) دار الحرية، بغداد، عراق، ١٣٣٥هـ، ص ٣، ج٤.
[٣] الدر المنثور، (السيوطي ٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ٥٤، ج٩.
[٤] تفسير الميزان، (محمد حسين الطباطبائي، ت ١٤٠٢) مكتبة الصادق، قم، إيران، ٢٠١٠م.
[٥] تفسير القمي، (علي بن إبراهيم القمي، ت ٣٢٠هـ) مكتبة المدينة، النجف، العراق، ٢٠٠٤م.
[٦] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت ٧٧٤ هـ، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ.
[٧] تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، ص٣٢١، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ، م١.
[٨] تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ت ١٤٠٢هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٩٧هـ.
[٩] التفسير العظيم للقرآن الكريم، لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار طيبة، الرياض، السعودية، ١٤٢٠هـ.
[١٠] تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٢٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.
[١١] تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، دار هجر، القاهرة، مصر، ١٤٥٢هـ.
[١٢] مجمع البيان، للطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ.
[١٣] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ت ٣٩٥ هـ / مادة (س و ق)، ج١، ص٢٥٤، بغداد، ١٤٠٥هـ.
[١٤] معجم العين، أحمد بن الخليل الفراهيدي ت ١٧٥ هـ، دار الحرية، بيروت، ٣٨٠م.
[١٥]
[١٦] البقاعي، برهان الدين ابراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
[١٧] الطبرسي، مجمع البيان (ت ٥٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي، ج١، طهران، ١٤٠٧هـ، ط٣.
[١٨] سورة غافر، الآية: ٣
[١٩] سورة فصلت، الآية: ٣٠
[٢٠] سورة الشورى، الآية: ١٠
[٢١] سورة الزخرف، الآية: ٤
[٢٢] سورة الأحقاف، الآية: ١٠.
[٢٣] مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ت ٥٤٨ هـ.
[٢٤] م. ن، ص
[٢٥] مجمع البيان، الطبرسي، ت ٥٤٨ هـ.
[٢٦] الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ١٤٠٢.
[٢٧] تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، (ت ١٠٩١هـ).
[٢٨] التفسير العظيم، لابن كثير، ت ٧٧٤ هـ.
[٢٩] الميزان، الطباطبائي، ت ١٤٠٢هـ
[٣٠] تفسير العظيم، ابن كثير، ت ٧٧٤هـ
[٣١] النبأ العظيم، محمد عبد الله داز (ت ١٣٧٧هـ)، دار العلم، دمشق، سوريا، ١٤٢٦هـ، ط٩،
[٣٢] الأساس في التفسير، سعيد حوى، (ت ١٤٠٩هـ)، دار السلام، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٠٥هـ.

[٣٣] سورة العصر، الآية: ١.

[٣٤] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ت (٣٩٥ هـ)، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ، م١، ص٢٥١.

[٣٥] القاموس المحيط، لأبي حيان الأندلسي، (ت ٧٤٧هـ)، دار الحرية، دمشق، سوريا، ١٣٧٣هـ.

[٣٦] لسان العرب، لابن منظور، (ت ٧١١ هـ)، دار الحرية، دمشق، سوريا، ١٤٢٢هـ، ط٣.

[٣٧] معجم الوسيط، للبقاعي، برهان الدين بن إبراهيم، (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥.

[٣٨] معجم الوسيط، (البقاعي)، (ت ١٣٧٧ هـ)، دار العلم، دمشق، سوريا، ط٩، ١٤٢٦هـ.

[٣٩] الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ت ١٤٠٢ هـ.

[٤٠] تفسير الطبري، الطبري، ت ٣١٠ هـ.

[٤١] الميزان، الطباطبائي، ت ١٤٠٢ هـ.

[٤٢] التفسير العظيم، ابن كثير، ت ٧٧٤ هـ.

[٤٣] مجمع البيان، الطبرسي، ت ٥٤٨ هـ.

[٤٤] مفاتيح الغيب، الرازي، ت ٦٠٦ هـ.

[٤٥] تفسير ابن عاشور، ابن عاشور.

[٤٦] تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، مكتبة الصدر، طهران (إيران) ١٤١٦ هـ، ط٢.

[٤٧] تفسير الطبري، الطبري ت ٣١٠ هـ، دار هجر، القاهرة، مصر، م٢٦، ١٤٢٢هـ.

[٤٨] الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ت ١٤٠٢هـ.